جدل القرآن الكريم لأهل الكتاب

دراســـة وتحليـــــل

د. خليفة حسين العسال
الاستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

مقدمـة

الحمـد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على جميع الأنبيـاء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعـــد:

فإنـه لما كان العقل البشري يتطلـع دائما إلى قوة الإقنـاع فقـد توصل إلى بغيتـه عن طريق الحجة والبرهـان والعلم، والقرآن الكريم معجزة خالـدة لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يحاج العقل البشري في أرقى ما وصل إليه من العلم ويتحداه إلى الأبد، وما أن دعا البشر إلى عقيـدة التوحيـد حتى وقف الناس منه مواقـف متباينة فكـان يسلك معهم مسـالك التوجيـه والإرشـاد ويعامـل خصومـه بما يتنـاسب وأحوالهم العلميـة والاعتقادية ولذا فيجادل كلا من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب بما يناسبهم.

حيث يجادل المشركين جـدل هدايـة ودلالـة، ويكـون جدلـه شـديدا وقـاسيـا بل مصحوبا بالتهديد والوعيد عند مجادلته للمنافقين. بينما يجادل أهل الكتاب جدل تخطئة وإلزام لأنهم على علم وبينـة. والجدل ظاهرة إنسانية بـل عالمية لوجـودها في الأجناس البشرية وغيرها كالملائكة وإبليس.

وقد خلق الله الإنسان نـاطقا مفكرا يتوارد عليه من الخواطر والمعلـومات مايجعله مدفـوعا بـالضرورة إلى الإفضاء بها والإفصاح عنهـا، وقد تشتـد وتبرز أشد البروز في مواقف الحجاج والنقاش وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض، موافقة أو مخالفة أو برهنة أو معارضة أو تعليما أو تعلما إلى غير ذلك مما هـو مرتكز في الفطرة الإنسانية، وما تستدعيه طبيعة النوع البشري من التعرف والتفاوت إدراكا وعلما.

فالجدل لايمكن أن يخلو منـه بشر عنده بيان يعبر به عما يختلج في نفسـه من مقاصد وأغراض بصرف النظـر عن كيفية هـذا البيان ونوعيتـه. والنفس البشرية مجبـولة عن الدفاع عنها وتقرير مطالبها وإيضاح مقاصدها.

وهـذه النزعـة البيانيـة تتفاعل مـع بعضها ومع العقـول المتفاوتـة والآراء المتباينـة والمشـارب المختلفـة ممـا يكـون لـه أثـره الفعـال فيما يجري بين النـاس من مجادلات ومناظرات.

فالجدل يرجع بمعناه العام إلى نزعة البيان والإفصاح المودعوعة فطريا في الإنسان وهو إما لإظهار مبدأ أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم أو غير ذلك. مما جبلت عليه النفوس البشرية. فالجدل يمثل نزعة إنسانية لأنه طبيعة وجبلة في الفطرة الإنسانية قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[(1)].

وجدل القرآن الكريم موضوع حيوي شيق محبب للنفس والعقل معا لما يأتي:

(أ) يجول فيه الفكر ويتلذذ بما يراه من مبادىء عقائدية وحجج منطقية وبراهين عقلية وحسية.

(ب) تجد فيه النفس متعة وجدانية غامرة.

(ج) كما أنه سجل يروى لنا نماذج من جدل الأمم الغابرة منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة بل ومن قبل وجوده كما في جدل الملائكة حول وجود آدم المستخلف من الله تعالى في الأرض وجدال إبليس[(2)].

(د) يصور مواقف الصراع بين الحق والباطل فيعيش معه القارىء في متعة وجدانية تنعكس عليه بالعظة والاعتبار.

وأسلوب القرآن في الجدل أفضل الأساليب وأنجحها لأنه يستخدم الأسلوب المناسب لكل مقام وهذه هى المحاجة المحكمة، وكلما كانت أشد إحكاما كانت آثارها أجدى وأنجح وأشد تأثيرا[(3)].

ذلك لأن القرآن الكريم يصارع الباطل بالحجة والبرهان حيث يدفعه بالحجة فإذا هو زاهق فتنجلي النتائج بنصرة الحق على الباطل واستعلائه عليه قال تعالى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[(4)].

فالجدل القرآني يستخدم البراهين العقلية والحجج المنطقية في معالجة الأمور الاعتقادية ويصور المواقف الحية المثالية في جانب الحق. وبهذا يختلف القرآن مع

(1) الكهف - ٥٤
(2) كما في الآيات ٣٠ - ٣٤ من سورة البقرة
(3) انظر: د. زاهر الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٣٤ - ٤٣ بتصرف
(4) الأنبياء - ١٨

الأنـاجيل التي تقـول لـلإنسـان (أطفىء مصبـاح عقلـك واعتقـد وأنت أعمى ولاتستدل)[٥].

فالقرآن الكـريم كرم العقل ورفع من شأنه وحذر من إهمالـه وأشاد في آيات كثيرة بالحجة والبرهان، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمجادلة الكافرين وأهل الكتاب كما أمر بدعـوتهم إلى الإيمان قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٦].

وقـال تعـالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾[٧].

والقرآن لايأتي بـالجدل إلا عند معارضـة خصومـه له وتوارد الشبـه فيلجم القرآن خصومتهم بـالجدل المحكم والاستدلال الملـزم بأسلوب رائع مفحم وهـذا هو المنهج العام لأدلة القرآن. وما ورد بخلاف هـذا من الأدلة فهو لحكمة تقتضيها أسرار التنزيل القرآني.

وقد اقتصر علماء السلف في الجدال على ماتدعـو إليه الحاجة مع فهمهم للنصوص وأبعاد المخاطبات القرآنية إضـافة إلى تحرجهم وورعهم أمام النصوص التي تذم الجدل كقول رسـول الله صلى الله عليـه وسلم (ما ضل قوم بعد هـدى كانوا عليـه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ « مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ »[٨]) وقـد عنى العلماء المسلمـون بالجدل عنـايـة شديـدة من بعـد أن نشب الخلاف الفكري بين علماء الأمـة وانتهت عنـايتهم بوضع قـواعد لتنظيم الجدل والمنـاظرة أسموهـا علم الجدل أو علم أدب البحث والمناظرة. وقيل أول من كتب فيه كتبـا أو رسائل مستقلة البزدوي المتوفي سنة ٤٩٣ هـ والعميدي المتوفي سنة ٦١٥ هـ ثم كثر التأليف فيه من بعدهما[٩].

---

(٥) نقلا عن د. زاهر الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ١٥.

(٦) النحل ـ ١٢٥.

(٧) العنكبوت ـ ٤٦

(٨) رواه الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه وقال حسن صحيح انظر سنن الترمذي ج٩ ص٦ ـ ٣٢٥٠ كتاب التفسير ٤٨ ـ ط أولى حمص بسوريا سنة ١٩٦٨م، ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة أيضا ج١ ص١٩ من المقدمة ـ ٤٨ باب اجتناب البدع والجدل، والمسند ج٥ ص٢٥٢ و٢٥٦.

(٩) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص ٦ ـ ويدلنا النظر في كتب التراجم والكتب التي عنيت بالتأريخ للعلوم على انه قـد وجدت كتب في الجدل قبل البـزدوي، ومن هذه الكتب مـانسب إلى أبي علي الطبري (ت٣٠٥هـ) ولأبي القـاسم الكعبي البلخي (ت ٣١٩هـ) ولأبي الحسن الأشعـري (٣٢٤ على الأرجح) ومنهـا ما نسب إلى أبي منصـور الماتريدي (ت٣٣٣هـ على الأرجح) وإلى القفال الشاشي (ت ٣٣٦هـ) وكل هؤلاء كانوا قبل البزدوي.

التعريف بالجدل:

الجدل: لغة: هـو اللدد في الخصومـة. والقدرة عليها، وقـد جادله مجادلـة وجدالا. ورجل جدل ومجدَل ومجدال: شـديد الجدل، يقال جـادلت الرجل فجدلتـه جدلا: أي غلبته ورجَل جـدل اذا كان أقـوى في الخصام، وجـادله أي خـاصمه، مجادلـة وجدالا، والإسم (الجدل) وهو شدة الخصومة[10] وهو مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ومنه قيل لزمام الناقة جديل. يقال جدل الحبل يجدله جدلا أحكم فتله.

والجدل معناه الصرع على الجدالة وهي الأرض سميت بذلك لشـدتها. يقال جدله جدلا، وجدله فانجدل وتجدل: صرعه على الجدالة[11].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وإن آدم لمنجدل في طينته[12]) أي ملقى على الجدالة وهي الأرض[13].

وخـلاصة المعنى اللغـوي للجدل أنـه اللدد في الخصـومة والقـدرة عليها وامتـداد الخصومة ومراجعة الكلام. كما ذكره ابن فارس حيث قال: (الجيم واللام والدال أصل واحـد وهو من بـاب استحكـام الشيء في استرسـال يكون فيـه. وامتـداد الخصومـة ومراجعة الكلام[14]).

والجدل اصطـلاحا: المفـاوضـة على سبيل المنازعـة والمغـالبـة لإلزام الخصـم، أمـا المجادلة فهي مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور[15]. وقال ابن منظور بعد أن ذكر المعنى اللغوي للجدل (ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلـة لظهور أرجحهـا)[16] وقال الجرجـاني: (الجدل عبارة عن مـراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريـرها)[17] وقال أبو البقاء: (الجدل هـو عبارة عن دفع المرء خصمه عن

---

(١٠) انظر: ابن منظور لسان العرب ج١١ ص ١٠٥.
(١١) انظر: المرجع السابق ج١١ ص ١٠٣، الزمخشري أساس البلاغة ص ١١١.
(١٢) رواه الإمام أحمد ج ٤ ص ١٢٧.
(١٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ص ١ ص ٤٣٣.
(١٤) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٣٣.
(١٥) ابن سيناء: الشفاء: كتاب الجدل ج ١ ص ٢٣
(١٦) المصباح المنير ص ١٢٨.
(١٧) التعريفات: ص ٦٦.

فساد قولة بحجة أو شبهة وهو لايكـــون إلا بمنازعة غيره)[١٨] وعرفه الجويني بأنه (إظهار المتنـازعين بمقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بـالعبارة أو ما يقوم مقـامها من الإشـارة والدلالـة)[١٩]. ومهما يكن من هذه المعـاني في الجدل والجدال فإنه الخصـومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم .

وإذا كان القرآن الكريم كتاب دعوة وهدايـة وهو المعجزة الخالدة الموجهة للأفكار والمبادىء والآراء والمعتقـدات القائمة على الحجج والبراهين ، فـلا غرابة أن نـرى وفرة هذه الأساليب الجدلية في كتاب الله ناطقة بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة التي ساقها الله تبارك وتعالى من خلاله لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما قصد إليه من تبيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس .

وهناك ألفاظ مرادفة للجـدل شاعت بين الناس وهى وإن لم تكن واحدة في المفهوم نهاية أمـرها بعضها من بعض كـالمناظرة والمحاورة والمنـاقشة والمباحثـة لأنها ترجع في النهاية أثـرها إلى طريقة البيـان والتبيين التي جبل عليها الإنسان وأودعهـا الله فيه وإن كان هنـاك فروق بينهـا بينتها قواعـد الجدل وأدب البحث والمناظـرة حيث يرى بعض العلماء أن الجدل يراد منه إلزام الخصم ومغالبته .

أما المنـاظرة فهى تردد الكـلام بين شخصين كل واحد منهما يقصد تصحيح قـوله وإبطال قول صاحبه مع الرغبة في ظهور الحق .

والمحـاورة هى المراجعـة في الكلام ومنـه التحـاور أي التجـاوب وهى ضرب من الأدب الرفيـع وأسلوب من أسـاليبه[٢٠]. ومادة الجدل في القـرآن تدور حـول المدافعة بالقول من أجل الدفاع عن العقيـدة والشريعة والأخلاق إن كانت من قبل الله ، أو من أجل الباطل إن كانت من المكابرين وكل آية تحدد اتجاه جدلها .

أوجه الجدل في القرآن الكريم

ورد الجدل القرآني على ثلاثة أوجه :

١ ــ مارد بـه على الخصوم من الحجج والبراهين ومـا ساقـه من الأدلة لتثبيت العقـائد

(١٨) الكليات ـ ص ١٤٥ .
(١٩) الكافية في الجدل ص ٢٠ ــ ٢١ تحقيق د. فوقية حسين محمود .
(٢٠) انظر : مناهج الجدل ص ٢٥ مرجع سابق بتصرف .

وتقرير قواعد الملة مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه وما ألهم الله به عباده الصالحين من قول الحق ودفع الباطل وهو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى أهل الأرض، ودفع مايقابلها من شبهات وإزالة ما يقف في طريقها من عقبات، وكشف مايحاك ضدها من مؤامرات وما يدبر لها من كيد وضلال، وهذا النوع من الجدل القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والدعوة إلى مقارعة الباطل بالحجة والبرهان قال تعالى: (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ[21]) وفي هذه الآية دعوة صريحة إلى الجدال وبيان طرقه وآدابه. ويرى كثير من علماء الكلام[22] أن الطرق الثلاثة المذكورة في الآية السابقة موافقة للأصول المنطقية وهى البرهان، والخطابة، والجدل. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية لايرتضي هذا الرأي ويرى أن الوعظ في القرآن هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في قوله تعالى: (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا)[23] وقوله تعالى: (يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ[24]) وهو بهذا يرى أن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وأما الجدال فلا يدعى به وإنما يكون من باب دفع الصائل ولهذا يقول رحمه الله: (إن للإنسان ثلاثة أحوال إما أن يعرف الحق ويعمل به، وإما أن يعرفه ولايعمل به وإما أن يجحده، فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به، والثاني أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به والثالث أن لايعرفه بل يعارضه فصاحب الحال الأول يدعي بالحكمة والثاني يدعي بالموعظة الحسنة وأما الجدال فلايدعي به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هى أحسن ولهذا ورد التعبير القرآني بصيغة الأمر (وجادلهم) فجعله فعلا مأمورا به مع قوله تعالى (أدع) فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتي

(٢١) النحل/ ١٢٥.

(٢٢) منهم أبو الحسن الأشعري الذي لايتردد في تسمية الجدل بهذا المعنى (أدبا) أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه منهج قرآني بكل ما تحتمله هذه التسمية من معنى ـ أنظر د/ أحمد الطيب: أسس الجدل عند الأشعري: صـ ١٥.

(٢٣) النساء/ ٦٦.

(٢٤) النور/ ١٧.

هى أحسن كما هو الحال مع أهل الكتاب في قوله تعالى (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ[٢٥]) وسياق الآية يبين أن المجادلة لأهل الكتاب بالرفق واللين والإنصاف وترك التعسف والاستطالة إلا لمن بدأ منهم بشيء من ذلك فإنه يعارض بما يفحمه، ويلجم خصومته، وإتاحة لفرصة الفهم والتعلم[٢٦].

ووافقه على رأيه كثير من الأئمة المتأخرين كالإمام الرازي وغيره[٢٧]) ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمانع من الجدل إذا كان لطلب الحق والاسترشاد وتقرير القضايا المتعلقة بأمور الدين والدنيا كما هو الحال في شأن جدال سعد بن معاذ وسعد بن عبادة للرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب[٢٨] وكما حدث من عمر بن الخطاب في صلح الحديبية[٢٩] وفي مجادلته لليهود[٣٠] ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم هذه المجادلة مادام المقصد منها حسنا لايختفي وراءها باطل بالكفر أو العناد ولذا يقول ابن تيمية (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقه ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين[٣١]).

٢ ـ ماورد بطريق الحوار والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار ومن هذا القبيل جدل الملائكة[٣٢] وجدل ابراهيم عليه السلام مع

(٢٥) العنكبوت/ ٤٦.

(٢٦) ابن تيمية الرد على المنطقين ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ ط. بومباي بالهند سنة ١٩٤٩ نقلا عن مناهج الجدل في القرآن الكريم صـ٤٦ ، ٤٧.

(٢٧) انظر: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب: جـ ٢٠ ص ١٤٠

(٢٨) انظر ابن كثير: السيرة النبوية: جـ٣ ـ ٢٠١، ٢٠٢

(٢٩) انظر المرجع السابق جـ٣ ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٣٠) انظر الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن: جـ ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥، والسيوطي: الدر المنثور ص ٩٠ ، ٩١ . ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣١) إبن تيمية: درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٣٥٧.

(٣٢) البقرة/ ٢٠ ـ ٢٣.

ربــه[٣٣] وجدل خولـة بنت ثعلبة الخزرجية مع رسول اللـه صلى الله عليه وسلم حيث ذهبت إليه تستفتيه وتراجعه في الفتوى لعله يجد لها مخرجا . . . . الخ فأنزل الله في شأنها (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا . . . .)[٣٤].

فهذا الجدل من قبيـل الاسترشاد ومعرفـة الحكمة فيما لم تظهـر فيه الحكمـة بعد وليس هذا من قبيل اعتراضهم على حكم الله وتدبيره .

٣ ـ مـايأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضـات والشبه والدعاوي البـاطلة التي حكاها القـرآن الكريم وبين بطـلانها ومـا تنطوي عليـه وهـذا يدخل تحت عنـوان الجدل بالباطل كما قـال تعالى (وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ[٣٥]) وقــال (وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ[٣٦]) وفي هـــذا تنصيص على ذم الجدل بالباطل (وهو كل جدال ظاهـر الباطل او أفضى إليه) قال الرازي (واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بـالجدال بالباطل ولفظ الجدال عن الشيء مشعـر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه) ثم قال : (والجدال في آيات الله هو أن يقال مرة إنه سحر ومرة إنه شعـر ومرة إنه قول الكهنـة ومرة إنه أساطير الأولين ومـرة إنه يعلمه بشر وأشباه هذا مما كانـوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكـر تعالى إنه لايفعل هذا إلا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق[٣٧]) ومن الأدلة على ذم الجدل بالباطل قوله تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ[٣٨]) ومن الآيات السابقة يتبين ان الجدل المذموم قسمان :

أ ـ جدال بغير علم : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . .)

ب ـــ جـدال لنصرة البـاطل بالشغب والتمـويـه بعد ظهـور الحق (وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ) والجدال بالبـاطل هدم لكيان المجتمع الإنسـاني فكم جر من

(٣٣) البقرة/ ٢٦٠ .
(٣٤) سورةالمجادلة آية/ ١ .
(٣٥) غافر/ ٥ .
(٣٦) الكهف/ ٥٦ .
(٣٧) انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب : جـ٢٧ ص٢٩ .
(٣٨) الحج/ ٣.

الويلات والحزازات بين الأفراد والجماعات وكم من صراع فكري جدلي تحول إلى صراع دموي نتيجة الخوض في الباطل وعدم الإصغاء إلى برهان الحق ومنطق البيان وبهذا نخلص إلى ماياتي :

١ ـ أن الجدل في القرآن جدلان : جدل ممدوح وجدل مذموم . وفيصل التفرقة بينهما هو معرفة الحق والباطل أو تبين الخطأ والصواب سواء كان ذلك بهدف اعتناق الحق أو اجتناب الباطل وكل جدل بعد ذلك ساقط الفائدة بل هو مذموم ومنهي عنه ولهذا فسر العلماء[٣٩] معنى (الحسن) المقترن في بعض الآيات القرآنية بلفظ الجدل ـ أو ما اشتق منه بأحد أمرين :

الأول : الاسترشاد وطلب معرفة الحق وهو ما يدخل تحت الأمر بالمعروف .

الثاني : قطع العذر على المعاندين وإقامة الحجة عليهم ببيان زيفهم وإفساد براهينهم وهو مما يدخل تحت النهي عن المنكر وقد ورد الجدل الحسن في القرآن الكريم في آيتين اثنتين[٤٠]. وما عدا ذلك فقد ذكر الجدل في أغلبها في معرض الذم والقدح .

٢ ـ إن الحكم على الجدل بالتحريم أو بغيره يتعلق بالغاية منه فحيث وجد الجدال بالباطل كان محرما وحيث وجد الحق كان مباحا أو واجبا وذلك على حسب المقامات التي تقتضيها بواعث الجدل .

٣ ـ إنه لاتعارض بين النصوص الواردة في النهي عن الجدل والنصوص الواردة في الأمر به لأننا نعلم يقينا أن الجدل الذي أمر الله به غير الجدل الذي نهى عنه فتحمل نصوص النهي على الجدال بالباطل ونصوص الأمر به على الجدال بالحق فيندفع الإشكال الذي قد يعرض لعامة الناس وهذا هو المنهج الصحيح الذي يؤيده العقل والنقل .

أهمية الجدل ومكانته:

تظهر أهمية الجدل مما يأتي :

١ ـ أمر الله تعالى باستخدامه في قوله تعالى : (وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ[٤١]) وقال

(٣٩) انظر : نفس المرجع السابق جـ ٢٧ ـ ص ٢٩ .

(٤٠) آية النحل/ ١٢٥ ، وآية العنكبوت/ ٤٦ .

(٤١) النحل/ ١٢٥ .

(وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ[٤٢]) ومحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب أو يجعل رسله يسلكون غيره .

٢ ـ إستخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للجدل في دعوتهم قال تعالى : (قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا[٤٣]) وقال : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ[٤٢]) وقال : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ [٤٥]) وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ [٤٦]) فكل نبي كان يناقش قومه ويجادلهم ويبين لهم طريق الحق بالأدلة الواضحة البينة .

٣ ـ (الجدل) أمر فطري جبل عليه الإنسان يصدر من الصالح والطالح والكبير والصغير والرجل والمرأة قال تعالى : (وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا[٤٧]) وقال عن المؤمنين معاتبا (يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ[٤٨]) .

وقال : (قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا [٤٩]) والأمور الفطرية لابد من ملاحظتها ومراعاتها .

٤ ـ إهتمام الدعاة به من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا بوصفه وسيلة لإظهار الحق لأنه أحيانا لايتضح ولا يظهر إلا بالجدل والمناقشة يقول ابن تيمية عن المجادلة (وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه أو بلغه ولكن عورض ذلك بشبهات فاحتاج إلى جواب تلك المعارضات لأن مجاهدة الكفار باللسان مازالت مشروعة من أول الأمر . . الخ[٥٠]) روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم[٥١]) .

---

(٤٢) العنكبوت/ ٤٦ .
(٤٣) هود/ ٣٢ .
(٤٤) البقرة/ ٢٥٨ .
(٤٥) الأنعام/ ٢٥ .
(٤٦) هود/ ٧٤ .
(٤٧) الكهف/ ٥٤ .
(٤٨) الأنفال/ ٦ .
(٤٩) المجادلة/ ١ .
(٥٠) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١/ ٧٧ .
(٥١) أبو داود جـ٧/ ص١٨٢/ ٢٤٨٧ كتاب الجهاد باب كراهية ترك الغزو والنسائي : جـ٦ ص٦ كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد وصححه الألباني .

وبناء على هذه الاهمية للجدل فقد عنى علماء الإسلام بالجدل والمناظرة عناية شديدة وانتهت عنايتهم بوضع قواعد لتنظيم الجدل والمناظرة لكي يكونا في دائرة المنطق والفكر المستقيم أسموها علم الجدل او علم أدب البحث والمناظرة(٥٢). وقد ألف كثير من علماء الإسلام كتباً في الجدل والمناظرات والرد على أهل الكفر والإلحاد. والمذاهب الهدامة وخصوصا أهل الكتاب ومن هذه الكتب مايلي :-

١ - الرد على النصارى لعمرو بن بحر الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥هـ.

٢ - الدين والدولة لأبي علي بن زين الطبري المتوفي سنة ٣٠٥هـ.

٣ - بذل المجهود في إفحام اليهود للسمو أل المتوفى سنة ٣٨٠هـ.

٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ.

٥ - شفاء الغليل للإمام الجويني المتوفى سنة ٤٦٥هـ.

٦ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

٧ - مقامع الصلبان على هامات عبدة الأوثان لأبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

٨ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ.

٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

١٠ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.

ومما ألف فى طرق المناظرة وآدابها:

أ - آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ.

ب - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للشيخ/ عبدالرحمن حبنكه الميداني.

جـ - رسالة الآداب في البحث والمناظرة لمحمد محي الدين عبد الحميد.

إلى غير ذلك من الكتب في هذا المجال ومن هنا يتبين مدى أهمية الجدل كأسلوب أمرنا الله تعالى باستخدامه عند الحاجة إليه.

---

(٥٢) انظر: تاريخ الجدل صـ٦ مرجع سابق.

من خصائص الجدل في القرآن

لأسلوب الجدل في القرآن خصائص ومزايا عديدة ذلك لأن القرآن الكريم لا يستخدم من الجدل إلا أحسنه ومن التعبير البياني إلا أعذبه وأوضحه ويمكن تلخيص خصائص الجدل القرآنى فيما يأتى[٥٣].

١ - إن الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعنية كالأمور الغيبية كما هو الحال في قصص الأنبياء والمرسلين كما في قصة نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم

٢ - يسلك القرآن الكريم في مجادلاته سياسة جدلية بيانية يعالج بها أوضاع الخصوم ويناقشهم بما يتناسب مع أحوالهم وطبائعهم النفسية فى مقام المجادلة كما حدث عند مناظرة إبراهيم لقومه وإبطال ماهم عليه من عبادة الكواكب[٥٤] مستخدماً سياسة جدلية تلين عريكتهم وتستجذبهم إلى سماع الحق والتأمل والتفكير فيما يدعو إليه من توحيد خالص لله، ومن السياسة الجدلية التى راعت طبائع الناس مجاملة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويهم مع عدم التسليم بها كقوله تعالى: (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ[٥٥]) وقوله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ[٥٦]) وذلك لأن المجاملة أدعى إلى الطاعة وأقوى فى التأثير[٥٧].

٣ - لم يتبع القرآن في جدله طريقة المنطق اليونانى المعقدة فى ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية مطولة وإنما جاء القرآن بلسان عربى مبين بعيد عن التعقيدات المنطقية الإصطلاحية متفقاً مع المألوف من أساليب اللغة العربية الفصحى التى تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير دون إخلال بالصورة البيانية التى تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط

(٥٣) انظر: منهج الجدل صـ ٤١٥ - ٤٢٣ مرجع سابق بتصرف، د/ البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة صـ ٢٦٧.

(٥٤) الأنعام/ ٧٤ - ٧٨.

(٥٥) سبأ/ ٢٤.

(٥٦) الزخرف/ ٨١.

(٥٧) د/ أحمد غلوش: الدعوة الاسلامية صـ ٤٠٨.

بالإصطـلاحات الفلسفيـة المعقدة معتمداً على تنـويع الأسلوب وتلـوين الخطاب لتتلقاه العقول السليمة متدبرة وتتلقاه القلوب وجلة راجية .

فنراه يردف الترغيب بالترهيب والوعد بـالوعيد تسكيناً لنفوس المؤمنين ليطمئنوا إلى رضا الله ورحمته ، وإزعاجاً للملاحدة المعـاندين ليثوبوا إلى عقولهم فيطرقوا أبواب النظر اتقاء عذاب الله وسخطه(٥٨).

٤ ـ اعتماده على العلم والمعرفة فـلا يصح الجدال بغير علم كما أن الدعوة للحق يجب أن تكون بعلم وقد ذم الله من يجادل بغير علـم فقال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٥٩) كما أنكر عل هـؤلاء الذين يجادلون بغير علم فقـال : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٥ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٦٠) .

٥ ـ يجمع الجدل القرآنى بين الإنصاف فى الدعـوة والإلزام فى النتيجة كما فى قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ . إلى قوله تعالى ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٦١) .

٦ ــ إن الأصل فى الجدل القرآنى أن يكـون بـالتى هى أحسن فإذا استخـدم فى جدالـه القسوة وتأنيب الخصم فهذا يـرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم المجـادل لكونه لم يصغ للحق ولم يستخدم عقلـه فيما يلقى إليه من بيان معضـد بالبراهين ولعل ذلك يفهم من الاستثنـاء فى قـوله جـل شأنه : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾(٦٢) حتى يذعنوا للحق ويظهر أمر الله .

٧ ـ إثارة العقل والوجدان من خلال الجدل لأنـه يأتى من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يرضى حتى أولئك الفلاسفة المتعمقين . ومن المتعة الوجدانية الطيبة بما يرضي حتى

---

(٥٨) محمد الصادق عرجون : القرآن العظيم . صـ ٢٨٣ ـ ٢٨٩ بتصرف .

(٥٩) الحج/ ٣ .

(٦٠) آل عمران/ ٦٥ ، ٦٦ .

(٦١) القصص/ ٤٧ ـ ٤٩ .

(٦٢) العنكبوت/ ٤٦ .

هـؤلاء الشعراء المرحين والله قـادر على أن يخاطب العقل والقلب معاً أو يمـزج الحق والجمال معاً، وهذا ما تجده فى كتاب الله حيثما توجهت إنه لاينسى حق العقل من حكمـة وعبرة كما لا ينسى حظ القلب من تشـويق وتحذيـر وتنفير وتهويل وتعجب يبث ذلك فى مطالع آياتـه ومقاطعها(٦٣) كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ(٦٤)﴾.

٨ ـ يمكن للجدل القـرآنى أن يقنع النـاس جميعاً إذا هم احتكمـوا إليه على اختـلاف أصنافهم وتبـاين أفهامهم وتفاوت مداركهم فمثـلاً قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ إلى قـوله تعالى ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ(٦٥)﴾ يستفيد منهـا الأمى علماً غزيـراً كما يعرف منهـا أن الله سبحانـه وتعالى سيبعث النـاس يوم القيامـة فيزداد إيماناً كما علـم ما لم يكن يعلم. ويقرؤها العالم بدقائق تكوين الإنسان والـدارس للحيوان جرثومة فجنيناً فحيواناً على ظهر الأرض حيـا فيرى فيها دقـة العلم والتكوين وصـدق الحكايـة حتى لقد قرأها بعض الأطباء فى أوروبا فـاعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم طبيب رأته الأجيال السابقة فلما علم أنـه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب آمن بأن هذا من علم الله تعالى بارىء النسم(٦٦).

وهـذا من وجوه إعجـاز القرآن المتعـددة التى استـوقفت كثيراً من الباحثين قـديماً وحـديثـاً فألفوا فيهـا المطـولات، وكـانت غايتهـم من ذلك بيان مـالهذا الكتـاب من خصائص امتاز بها عن بقية الكتب السماوية الأخرى وعلى كل حال فإن القرآن الكريم معرض حافل بكل ما يسد حاجة المتطلع إليه وما يشبع كل ملكاته ومواهبه وهو بحق لا تنقضى عجائبه ولا يخلـق عن كثرة طول النظر فيه بل يكشف عـن الجديد لكل نظر متى حسنت نية الناظر وشرف مقصده.

(٦٣) انظر د/ محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم: صـ ١٠٩ بتصرف.
(٦٤) الزمر/ ٢٣.
(٦٥) المؤمنون/ ١٢ ـ ١٦.
(٦٦) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى: القرآن ص ـ ٣٩٥ بتصرف.

منهج الجدل فى القرآن

لم يكن الجدل فى القرآن الكريم أمراً مقصوداً لذاته وإنها كان رد فعل لموقف واجهته الدعوة الجديدة من قبل أعدائها سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من سواهم ذلك لأن الدين الإسلامى دين توحيد بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، توحيد فى التأليه وتوحيد فى القصد والعمل وتوحيد في القلوب والمشاعر إنه يقيم الحجة على أهل الكتاب حين يناديهم (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ[٦٧]) وبين أن دعوة الأنبياء جميعاً تنطلق من عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد وأنه لا خلاف بينهم في أصول العبادات والمعاملات والآداب فضلاً عن أصول العقيدة قال تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ[٦٨]) وأوقف العقل أمام تاريخ أولئك النفر الذين لم يستجيبوا لداعي التوحيد والتجمع والتآلف على عقيدة واحدة حتى يكون فى ذلك عبرة لأولي الألباب كما جاء فى سورة آل عمران[٦٩] وبين أن التفرقة في الدين والتشيع فيه يخرج بأتباعه عن الحق بحيث يتبرأ منهم أهل الحق والاقتداء بهم قال تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ[٧٠]) ثم يطلب إلى طائفة المؤمنين ألا يستجيبوا لداعي الفتنة والفرقة فقال : (وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ[٧١]) ويقول (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ[٧٢]) .

والقرآن الكريم حيث يستخدم الجدل كمنهج لتمييز الخبيث من الطيب من الاعتقادات والتصورات يجعله بقدر الضرورة ذلك لأن المعرضين عن الحق إذا عاينوا دليل تهافت عقيدتهم ثم لم يذعنوا كانوا مكابرين ولاجدوى حينئذ من التمادي في

(٦٧) آل عمران/ ٦٤ .
(٦٨) الشورى/ ١٣ .
(٦٩) آل عمران/ ١٠٥ .
(٧٠) الأنعام/ ١٥٩ .
(٧١) الأنفال/ ٤٦ .
(٧٢) آل عمران/ ١٠٣ .

جدالهم بل يترك أمرهم إلى الله ليحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . وليس على الرسول إلا البلاغ . وكان هذا منطق القرآن عقب آيات الجدال[٧٣]. ومن منطلق القاعدة التى يتعامل بها الإسلام مع أصحاب الملل والنحل المختلفة وهي عدم الإكراه طلب من الرسول ومن آمن معه أن تكون المواجهة هادئة لينة وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هى أحسن ويخص مجادلة أهل الكتاب بالتنويه والتوجيه فيقول : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ [٧٤]﴾ ويقول ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ [٧٥]﴾ هذا وقد تعددت الطوائف التي أدركها نزول القرآن الكريم وقد جمعتها الآية الكريمة في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ [٧٦]﴾ وسأقتصر على مجادلة أهل الكتاب لأن القرآن استغرق فى حديثه معهم مساحات واسعة في كثير من سوره لما لهم من علم سابق ومعرفة كاملة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته ولكنهم يكتمون الحق وهم به عالمون .

مجادلة أهل الكتاب

أولاً: اليهود

لم نجد في القرآن المكى ما يشير إلى وقوع أي جدال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود حتى هاجر إلى المدينة حيث التقى بهم فقد كانوا يساكنون المسلمين وجيراناً لهم وطبيعي أن يدعوهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام لعموم رسالته ووجوب تبليغ دعوته ، وكان الظاهر أن يجيبوا دعوته لأنهم كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا بنبى قد جاء زمانه وقد حكى الله عنهم ذلك فقال تعالى : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

(٧٣) كما في قوله تعالى في سورة الحج/ ٦٨ ، ٦٩ ـ والزمر/ ٣ .
(٧٤) العنكبوت/ ٤٦ .
(٧٥) آل عمران/ ٢٠ .
(٧٦) الحج/ ١٧ .

ٱلْكَٰفِرِينَ[77]) ولكنهم أعرضوا عن دعوتـه ولاحوا النبى صلى الله عليه وسلم لأنهم قوم يحسـدون الناس على مـا آتاهم اللـه من فضله فمشكلتهـم قائمـة على اعتبار أنهم شعب الله المختـار وأنهم جبلة خاصـة تمتاز على سائر أمم الأرض ودمـاء الأمم جميعاً مهدرة في نظرهم[78] ولذا فهم لايعترفون بنبي من غير بني إسرائيل بل كانوا يعدون ظهور رجل من غير بني إسرائيل يدعو إلى توحيد الإله وتمجيد إبراهيم وموسى وسائر النبيين أمـراً غريبـاً فى البشر ، فأسروا له العـداوة ، ونـابذوه الشر ودفعهم غـرورهـم إلى الإنكار والمكابرة والمهاترة فاندفعوا لمجادلة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين وناقشـوهم مناقشـات دينية أخـذت أولاً دوراً دينياً هـادئاً ثم أخذت من جـابنهم سباً واستهزاء وخيـانة حتى اضطر النبى صلى اللـه عليه وسلم إلى إجـلاء بعضهم ومحاربة الآخرين وفى دور المجـادلة كـان جدالهم واسع النطـاق غير محدود لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخاطب أقواماً يقرون بكتاب ويـؤمنون برسول ، فكان يلزمهم بما جاء في كتبهم وينعى عليهم مخالفتهم لما جـاءت بـه رسلهم وهم كـانوا لعلمهـم بالكتـاب يوجهون أسئلة فيها شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالين كما سيأتى بيانه :

١ـ موقفهم من قضية الألوهية:

طـالعنا القـرآن الكريـم بأنهم ماديـون فى تصورهم للـذات الإلهيـة ولزم عن هـذا التصور أن وصفـوه بما لا يليق به بل بما لا يليق بـالإنسان العادى فقـد نسب إلى الله فى التوراة من أنه خلق الخلق ثم فرغ منه بعـد تعب فاستراح في اليوم السابع (وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمـــل ، وبـارك الله اليوم السابع وقدسـه ، لأنه فيه استراح من جميع عملـه[79] فرد الله هذا الزعم بقـوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ[80]) كما أبطل القرآن وصف الإله بصفات البشر على سبيل التحديد والتجسيـد أو الوصف حيث كثرت النصوص التى صرحت برؤية موسى وغيره للرب وجهاً لوجه وكذلك رؤية الشعب له بل طلبه منهم

(٧٧) البقرة/ ٨٩.

(٧٨) عبدالرحمن حبنكة : مكائد يهودية عبر التاريخ صـ ١٠ ، ١١ .

(٧٩) سفر التكوين٢/ ١ـ٣ والخروج ٢٠/ ١١ ـ ٣١/ ١٧ ، التثنية ٥/ ١٢ ونحميا ٩/ ١٤ وأشعيا ٥٨/ ١٣ .

(٨٠) ق/ ٣٨.

مسكناً ليحل فى دارهم فضلاً عن صفات أخرى، كما ورد (فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأنى نظرت الله وجهاً لوجه[٨١]) وقول موسى للشعب (وجهاً لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار[٨٢]) (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء[٨٣]) وقد صرح القرآن الكريم ببطلان ذلك فقال (وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ[٨٤]) ونزه القرآن الكريم الذات العلية عن مشابهة الحوادث فقال (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ[٨٥]).

كما رد القرآن الكريم عليهم تطاولهم على ذات الإله بقولهم (إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ[٨٦]) وحين قالوا (يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ) فقال تعالى : (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ[٨٧]) كذلك أبطل القرآن دعوي التمييز التى يدين بها اليهود سواء أقام التمييز على أساس تخصيص الإله برعايتهم وعنايتهم وسكناه بينهم دون سواهم أم قام التمييز على أساس الاصطفاء فى الرسالة وقد ورد ما يدل على ذلك فى سفر الخروج ١٣/ ٢١، ١٤ ـ ١ ـ ٥، ١٦/ ٤ ـ ٢٤، ١٩/ ١٢ ـ ٢٣ . . . إلخ وفى سفر العدد ٩/ ١٥، ١١/ ١٦ ـ ٣٣ وقد أجمل القرآن الكريم هذا التصور فى قوله تعالى على لسانهم (نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ[٨٨]) وفي هذا اتهام له سبحانه بالمحاباه والمجاملة على غير أساس فرد عليهم هذه الدعوى بقوله (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) ولما زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس تحداهم بإثبات ذلك عملياً (قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ[٨٩]) وعندما قالوا (لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ) وكانت أحلامهم أن لا ينزل على

(٨١) تكوين ٣٢/ ٣٠ .

(٨٢) التثنية ٥/ ٤ .

(٨٣) خروج ٤/ ١١ .

(٨٤) الأنعام/ ٩١، الزمر/ ٦٧ .

(٨٥) الشورى/ ١١ .

(٨٦) آل عمران/ ١٨١ .

(٨٧) المائدة/ ٦٤ .

(٨٨) المائدة/ ١٨

(٨٩) الجمعة/ ٦، ٧ .

المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً وأن أمانيهم أن لا يدخل الجنة غيرهم رد عليهم القرآن هذه الدعوى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٠)﴾ وعندما قالوا ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ بناء على تصورهم الفاسد أنهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يوماً بعدد أيام عبادتهم العجل بين لهم القرآن الكريم فساد هذا التصور فقال: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩١)﴾.

كما أبطل القرآن الكريم عنصرية المعتقد فى كون الهداية مقصورة على اليهودية أو النصرانية ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (٩٢)﴾. كما يكشف القرآن عن زيفهم حين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يزعمون أنه من عند الله فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٩٣)﴾.

وهذا التزييف الذي يفعلونه بأيديهم ثم ينسبونه إلى الله لم يصدق. لأنه أليق بهم وجل جناب الحق عن أن يتعامل بهذا المنطق لأنه حكيم خبير عدل عليم، ومع هذا الغرور العنصرى أشار القرآن إلى ملمح خطير قد يكون مفتاح هذا التعالى وهو إحساس اليهود باحتقار الناس لهم وشكهم فى هذا الأمر دائماً وهذه القضية تأتى فى مكانها الطبيعي لأن الشعور بالنقص يدفع صاحبه إلى إبراز ما ليس فيه متقمصاً لصور خارجة عنه وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٩٤)﴾ وهذا من إحساسهم باحتقار الناس لهم وموسى عليه السلام يرد عليهم بأن إحساسهم هذا يجب أن ينتفى لأن الهزء فى تبليغ أمر الله جهل وسفه لا يليق برسول. وهذا يؤكد أن العنصرية اليهودية ثابتة فى نفوسهم ومستكنة فى غرائزهم وقد اشتهروا بها حتى صارت خاصة من خواصهم.

---

(٩٠) البقرة/ ١١١.

(٩١) البقرة/ ٨٠.

(٩٢) البقرة/ ١٣٥.

(٩٣) البقرة/ ٧٩.

(٩٤) البقرة/ ٦٧.

هذا بعض ما ساقه القرآن الكريم رداً على ماكان من أمر اليهود فى قضية الألوهية مما يشكل المفتاح الحقيقى لنفسية اليهود: التصور المادى الصرف، الكذب والتزييف، الخداع، الافتراء... إلخ.

٢ـ موقفهم من الرسل:

لقد كان منطق اليهود فى نظرتهم إلى الأنبياء منطقاً غريباً يدل على نفسيتهم الأنانية الملتوية بحيث لا يرضون من الرسل إلا من هادنهم وإذا كانت الرسالة أسمى من هذا التصور الفاسد لأنها لم تجيء إلا لإرساء قواعد الحق والعدل فإن النتيجة الطبيعية لذلك أن يكذبوا فريقاً من الأنبياء ويقتلوا فريقاً. (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ [٩٥]) فنظرة اليهود إلى الرسل امتداد لماديتهم حيث يلحقون بهم النقص والسوء فقد نسبوا إلى لوط عليه السلام شربه للخمر واضطجاعه مع بناته[٩٦] كما نسبوا إلى داود عليه السلام أنسه فى شيخوخته بفتاة جميله[٩٧] وقالوا عن سليمان أنه كان مغرماً بالنساء ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب[٩٨] وهكذا أنزل اليهود بالرسل صفات النقص والخسة وجردوهم من روحانية الوحى وعصمة الرسالة وقد بين الجدل القرآني مدى استهزائهم بالرسل حيث قالوا لموسى عليه السلام (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً [٩٩]) وقالوا (فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ [١٠٠]) ولما طلب منهم هارون أن يتركوا عبادة العجل قالوا: (لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ [١٠١]) كما نظروا إلى محمد صلى الله عليه وسلم نظرة تنبيء عن طبيعتهم يقول أحد أحبارهم الذين أسلموا (وأما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فله فيها بينهم اسمان فقط. أحدهما (فاسور)

---

(٩٥) البقرة/ ٨٧.

(٩٦) التكوين/ ٩/ ٣٠ـ٣٦.

(٩٧) الملوك الأول ١/ ١ـ٤.

(٩٨) الملوك الأول ١/ ١ـ٢.

(٩٩) البقرة/ ٥٥.

(١٠٠) المائدة/ ٢٤.

(١٠١) طه/ ٩١.

وتفسيره الساقط والثانى (موشكاع) وتأويله المجنون. وأما القرآن العظيم فإنه يسمى فيما بينهم (قالون) وهو اسم للسوأة بلسانهم يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوأتهم[(١٠٢)].

وقد بين القرآن الكريم مواقفهم مع موسى عليه السلام فيما نقضوه من التزامات ومواثيق وفيما قاموا به من أعمال معه ومع من بعده من الأنبياء مما يجعل خبث طويتهم وغدرهم وتخريبهم حلقة متصلة فى كل مجال: قال تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ[(١٠٣)]) وهكذا فإن اليهود لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم. متى تهيأت لهم القدرة على التنفيذ وليس هناك أسوأ من تكذيب أو قتل من يسدى إليهم النصح ويأخذ بيدهم إلى طريق الخير والرشاد.

٣ـ موقفهم من كتب الله تعالى

يحدثنا القرآن الكريم بأنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب (أى يؤولونه) حسب أهوائهم ويزعمون أن هذا من عند الله، وهذا من أظهر البراهين على سوء نيتهم نحو الكتب السماوية كما حدثنا بأنهم كانوا لا يعترفون إلا بالآيات التى توافق نفوسهم ويكفرون بما دونها كما بين أنهم وقفوا من الكتب السماوية الأخرى موقف المنكر لها قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ[(١٠٤)]) وفى المقطع الأخير من هذه الآية دليل على تهافت موقفهم لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً والإيمان بها جميعاً مبنى على هذه القضية.

إذن فالكفر ببعضها هو كفر بها جميعاً، والزعم بأنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم حينئذ يكون هو الباطل بعينه لأن ما ينكرونه يصدق ما بأيديهم فكأنهم يردون ما

---

(١٠٢) السموأل: بذل المجهود في إفحام اليهود صـ ٩ نقلا عن الدعوة الاسلامية صـ ٣٩٥ مرجع سابق.

(١٠٣) النساء/ ١٥٥ ـ ١٥٧.

(١٠٤) البقرة/ ٩١.

يستدل به على صدق كتابهم وهذا هو الضـلال المبين . كما يحدثنا بأنهم كانوا يدلون على الكفار بأنهم من أهل الكتـاب وأنه سيأتي إلى القـوم ما يصدق ذلك ولكنهم كفـروا به على الرغم من معرفتهم السابقة بهذا المجيء قال تعالى : (وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ [(١٠٥)]) وفى هذا أيضاً دليل على تهافت هذا الموقف إذ أن معرفتهم بما جاء في كتابهم من البشارة بكتاب لاحق لم تحملهم على الإيمان به مما يدل على أن إيمانهم بكتابهم لم يأخذ بمكامن نفوسهم ومشاعرهم بل كان مجرد دعوى[(١٠٦)].

وكان النبى صلى الله عليه وسلم في جدلـه معهم ينكر تحريفهم التوراة واختلافهم فيها ويكفى ذلك الاختـلاف دليلاً على الشك فى حقيقة مـا بأيديهم قال تعـالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ[(١٠٧)]) وأنكر النبى منهم عدم تلقيهم لتعاليم دينهم من كتبـه بل من الأحبـار وقد ذم اللـه صنيعهم هـذا بقـوله : (ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ [(١٠٨)]) .

والحقيقة التى لاشك فيها أن اليهود أضاعـوا التوراة وتركوا العمل بما فيها فضلوا عن منهج الله القويم وذهبـوا يحرفون الكلم عن مواضعه وأصدق دليل على هـذا قوله تعالى : (مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ[(١٠٩)]) يريدون بتحريفهم لها على هواهم أن يفرضوا آراءهـم الضالـة على الناس وينكرون مجيء النسخ عليها محافظة على ماديتهم التى بثـوها فيها يقول الشهـرستانى : (واليهود تدعى أن الشريعـة لا تكون إلا واحـدة وهى ابتدأت بمـوسى عليه السـلام وتمت به فلم تكن قبلـه شريعة إلا حـدود عقلية وأحكام مصلحية ثم قالوا : فلا يكون بعده شريعة أصلاً[(١١٠)]) .

٤ ـ قضايا أخرى

(١٠٥) البقرة/ ٨٩ .

(١٠٦) انظر : د/ محمد عبدالستار نصار : العقيدة الإسلامية صـ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٧) البقرة/ ٧٩ .

(١٠٨) التوبة/ ٣١ .

(١٠٩) النساء/ ٤٦ .

(١١٠) الشهرستاني : الملل والنحل جـ١ صـ١٣٢ ، ١٣٣

وقد أوصلتهم مجادلتهم للرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى كثير من المهاترات التى تكشف عما تنطوي عليه نفوسهم وقلـوبهم لما عندهم من علم به ولكنهم جحدوا الحق وأنكروا التنزيل وجحدوا نبـوة عيسى وأشركوا بالله وتنطعوا بالسـؤال مع رسول الله صلى اللـه عليه وسلم(١١١). فسألوه أن ينزل عليهـم كتاباً من السماء(١١٢) وسألـوه عن الساعة(١١٣) والروح(١١٤). وسألوه عن ذى القرنين(١١٥). وكانوا فى جدلهم معه كجدل المتعنتين من أسـلافهم مع موسى عليـه السلام ــ لا يطلبون رشـاداً ولا يبغون سداداً ولايريـدون حقاً ينصرونه بل باطـلاً يلوون به ألسنتهم(١١٦). فمثـلاً إدعـوا أن إبراهيم عليـه السلام كان على ديانتهم وقـد رد القرآن عليهم تلك الدعوى فقـال:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١١٧)﴾.

كما ادعوا أن عدم استجـابتهم لمحمد إنما هو بسبب عداوتهم لجبريل عليـه السلام وقد صرحوا بذلك حين سألهم عمر بن الخطاب يوماً وكان يجالسهم فى مدراسهم فبالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً نبياً فى كتابكم؟ فسكتوا ونظر بعضهم لبعض! فقـال رجل منهم: أخبروا الـرجل أو لأخبرنـه قـالوا نعم: إنـا نجـده مكتوبـاً عندنـا. ولكن صاحبـه الذى يأتيه بـالوحى هـو جبريل وجبريل عدونـا وهو صاحب كـل عذاب وقتال وخسف ولـو أنه كـان وليه ميكـائيل لآمنا به فـإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث(١١٨) فأبطل الله زعمهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ (١١٩)﴾.

(١١١) انظر ابن هشام السيرة النبوية جـ ٢ صـ ٥٦٧ ـ ٥٧٠.
(١١٢) النساء/ ١٥٣.
(١١٣) الأعراف/ ١٨٧، الأحزاب/ ٦٣، النازعات/ ٤٢.
(١١٤) الاسراء/ ٨٥.
(١١٥) الكهف/ ٨٣ ـ ٩٨.
(١١٦) انظر تاريخ الجدل ص٥٢ مرجع سابق.
(١١٧) آل عمران/ ٦٧.
(١١٨) انظر: جامع بيان العلم وفضله صـ ١٠١، ١٠٢، ابن القيم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ص ٩٤.
(١١٩) البقرة/ ٩٧، ٩٨.

ولما تقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تحويل القبلة وانتهزوها فرصة لتضليل الرأى العام وإشاعة قالة السوء نزل القرآن يفضح أمرهم ويرد عليهم افتراءهم وضلالهم حيث يقول: (سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ .. إلخ الآيات[١٢٠]).

كما أنكر اليهود قضية النسخ واعتبروها مطعناً فى القرآن الكريم فذهبوا يثيرون الفتن ويقولون: (ألا ترون أن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه[١٢١]) (ماهذا من شأن الأنبياء، وماهذا إلا من كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً[١٢٢]) فرد القرآن شبهتهم ودحضها بالحجة والبرهان قائلاً: (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ .. [١٢٣]) وقد نقض القرآن الأساس الذى تقوم عليه هذه الشبهة وهو إنكار النسخ فأثبت وقوع النسخ من واقع توراتهم كما تنص عليه كتبهم التى بين أيديهم وتقرير ذلك إن جميع المطعومات كانت حلالاً لبنى إسرائيل إلا ما حرمه إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها وتبعه بنو إسرائيل فى التحريم تأسياً به ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات بسبب بغيهم وكانت حلالاً لهم قبل ذلك فأنكروا أن يكون التحريم خاصاً بهم وادعوا أنه كان من عهد الأمم الماضية وأنهم ورثوه عن الأنبياء السابقين فتحداهم القرآن أن يثبتوا ذلك بطريق صحيح قائلاً (قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[١٢٤]) فلم يستطيعوا إخراج التوراة لأن ما فيها سيفضحهم ويكشف كذبهم ولهذا بهتوا وانقلبوا صاغرين. ويطول بنا الحديث لو تتبعنا جدال القرآن لليهود ويكفى أن نبين أنهم من أصحاب الكتب السماوية الذين يمثلون قمة الإنحراف وسوء الفطرة وظهر ذلك من مزاعمهم فكان على القرآن أن يجادلهم ويكشف عوراتهم بالوقوف على ماديتهم وعنصريتهم وسوء أخلاقهم[١٢٥]. ويمكن القول أنه مامن قضية من قضايا

---

(١٢٠) البقرة/ ١٤٢ ـ ١٥٠.

(١٢١) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب جـ٣ ص ٢٢٦.

(١٢٢) الألوسي روح المعاني: جـ١ ص ٣٥١.

(١٢٣) البقرة/ ١٠٦.

(١٢٤) آل عمران/ ٩٣.

(١٢٥) انظر: الدعوة الاسلامية ص ٣٨٩ ـ ٣٩٩ مرجع سابق.

الإيمان إلا وقد انحرفت بها نفوسهم وعقولهم عن جادة الطريق كما سبق أن بينت . . والمهم أن نبرز هنا أن مواجهة القرآن لهم قصد من ورائها كشف هذا التزييف الذى يزعمون أنه الحق حتى لا يشكل نوعاً من الرواسب التي تحول دون الإعتقاد الصحيح ولأنهم أوتوا من الحيلة ما به يلبسون الحق بالباطل ولكن أنى لهم ذلك والله من ورائهم محيط وليس بغافل عما يعملون .

ثانياً: النصارى:

دار جدل القرآن الكريم مع النصارى حول قضايا عدة أقتصر منها على قضية رئيسية هامة هى رد المزاعم التى قيلت فى حق المسيح عليه السلام على يد الكثير من أتباعه من تأليهه وقد انتهى من هذه القضية إلى نتيجة هامه هى : (بشرية المسيح)، وأنه ليس إلهاً ولا جزء إله وقد استلزم الوصول إلى هذه النتيجة الحديث عن الظروف والملابسات التى أحاطت بميلاده والآيات الدالة التى تؤيد دعواه الرسالة وقد جاء أكثر ذكر القرآن الكريم لهذه الملابسات فى سورة مريم أم المسيح عليه السلام قال تعالى : (وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . . . إلى أخر قوله تعالى فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا[١٢٦]) وفى هذه الآيات التى تحدثت عن واقعة الميلاد تصريح بأن ميلاده عليه السلام من غير أب إنما هو آية للناس ورحمة من الله ولا يستحيل على القدرة الإلهية أن تخرق القوانين العادية فيجىء ميلاده علي هذا الشكل لأن الله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء والمستحيلات التى نقولها نحن البشر إنما هى بالنسبة لقدرات الإنسان وطاقاته المحدودة[١٢٧]. وكان من الطبيعى أن يكون هذا الحدث محل اعتراض من القوم لذلك تراهم قد بادروا مريم بالاستنكار مستخفين وراء استصحاب عراقة أصلها وطهارة نسبها : (فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا [١٢٨]) ولم تملك من تصرف فى هذا المقام سوى أن تترك الحقيقة لتعبر عن نفسها(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا . . إلى قوله تعالى إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن

(١٢٦) مريم/ من ١٦ ـ ٢٦.

(١٢٧) انظر : العقيدة الاسلامية ص ٩٠ بتصرف .

(١٢٨) مريم/ ٢٧ ، ٢٨ .

(١٢٩) مريم الآيات من ٢٩ ـ ٣٥.

فَيَكُونُ(١٢٩)).

وقد أبطل القرآن الكريم ما أثاره النصارى من دعاوى باطلة يعتقدون من خلالها تأليه المسيح فقد اعتقدت طائفة منهم أن المسيح جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود فقالوا (إن مريم ولدت إلها(١٣٠) تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، وقد صرح القرآن الكريم بصدور هذه المقالة عن بعض فرق النصارى حيث قال: (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ) ثم جادلهم وأبطل مزاعمهم ودحض حججهم فقال: (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ) وفى هذا بيان على أن الله هو المتصرف فى جميع خلقه في السموات والأرض وما بينهما ولا يقدر المسيح عن دفع شيء من أفعال الله أو منع شيء من مراده والمسيح وأمه مخلوقان محدودان وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للألوهية ، ومثار هذه الشبهة عند النصارى هو ما يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من خوارق العادات وما ظهر من خلق الله تعالى له على غير ما جرت به السنن الكونية فى التوالد والتناسل وقد ختم القرآن هذه الآية التى ترد على مزاعم النصارى بقوله تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٣١)) فقد يخلق الإنسان من الذكر والأنثى كما هو المعتاد فى نظام التوالد العام وتارة من غير أب ولاأم كما فى خلقه لآدم عليه السلام وتارة من أم بلا أب كما فى خلق عيسى عليه السلام وتارة من ذكر بلا أنثى كما فى خلق حواء من أدم عليه السلام ، كما أن من دلائل قدرته تأييد رسله بالمعجزات التى تخرج عن طوق البشر ومنها ماظهر على يد عيسى عليه السلام مما حدثنا القرآن الكريم عنه مثل تصويره لطير من الطين ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله . . الخ(١٣٢)، كما أبطل عقيدة التثليث التى أجمع عليها النصارى قال تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثلاثة)(١٣٣) وقال: (يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا

(١٣٠) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢٧.

(١٣١) المائدة/ ١٧.

(١٣٢) آل عمران/ ٤٩، المائدة/ ١١٠ ـ ١١٥.

(١٣٣) المائدة/ ٧٣.

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ[١٣٤]) يقول القرطبى رحمه الله (والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليت ويقولون أن الله جوهر واحد له ثلاثة أقانيم فيجعلون كل أقنوم إلهاً ويعنون بالأقنوم الوجود والحياة والعلم وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والإبن وروح القدس فيعنون بالأب الوجود وبالروح الحياة وبالإبن المسيح[١٣٥]) كما أبطل القرآن ما يعتقده بعض النصارى فى ألوهية مريم فقال (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ[١٣٦]) وقوله تعالى: (مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[١٣٧]) يقول ابن حزم (لولا أن الله حكم عليهم بالكفر فى كتابه واستنكر على المسيح قولهم (ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلاً يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان[١٣٨]). وفى حدود هذا الإطار (إطار بشرية المسيح) ونبوته فقط أفاض القرآن فى تأكيد هذه الحقيقة ورد عليهم بأقوى حجة وأحكم برهان فهو ليس إلا رسولاً قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ولم يجعل له ولها الألوهية من دون الله لأنه ليس إلا عبداً أنعم الله عليه. وجعله مثلاً لبنى إسرائيل وأنه يجري عليه من الأمور الطبيعية ما يجرى على سائر البشر من الأكل والشرب والموت والبعث . . . إلخ. أما قولهم إن المسيح ابن الله فمثار هذه الشبهة لديهم أن الله تعالى خلقه من أم دون أب خلاف ما جرت سنته تعالى فى التوالد والتناسل فقالوا عنه إنه ابن الله وهم بهذا الإدعاء ينسبون الولد والتوالد إلى الله وقد كبر على الله أمر هذه المقالة الشنيعة فقال تعالى (وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ

---

(١٣٤) النساء/ ١٧١.

(١٣٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٢٣.

(١٣٦) المائدة/ ١١٦.

(١٣٧) المائدة/ ٧٥.

(١٣٨) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٤٩.

جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (١٣٩) .

كما أبطل القرآن دعوى بنوة المسيح أو بنوة غيره بدلائل منطقية قال تعالى : (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ (١٤٠)) (فنفى التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لاصاحبة له وأيضاً فإنه خلق كل شيء وخلقه لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالما أن يكون كالأمور الطبيعية التى تتولد عنها الأشياء بلا شعور كالحار والبارد فلا يجوز إضافة الولد إليه(١٤١)) وأنه سبحانه لو شاء ذلك ما ترك الاختيار فيه للبشر (لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ (١٤٢)) ولكن صفات الإله ومقام الألوهية لا يبيحان ذلك (لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ (١٤٣)) .

ولم يكتف القرآن الكريم بإقامة الحجة والبرهان عليهم وإبطال معتقداتهم فى ألوهية عيسى عليه السلام ولكنه حسماً للقضية التى ألصقها القوم به أعلن القرآن أن ما نسب إليه سيتبرأ منه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ويعلن عبوديته لله تعالى وتبليغه لرسالة ربه فيقول : (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ (١٤٤)) وقد امتن الله على عيسى عليه السلام بأنه لن يستنكف أن يكون عبداً لله فقال (لَّن

(١٣٩) مريم/ ٨٨ ـ ٩٢ .

(١٤٠) الأنعام/ ١٠١ .

(١٤١) ابن تيمية : الرد على المنطقيين جـ ١ ص ٣٨٠ تحقيق : د/ محمد عبدالستار نصار وزميله .

(١٤٢) الزمر/ ٤ .

(١٤٣) الاخلاص/ ٣ ، ٤ .

(١٤٤) المائدة/ ١١٦ ، ١١٧ .

يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ[١٤٥]) .

وقد أخبرنا القرآن أن من النصارى من يقتنع بالحق ولكنه يصر على ما معه من الباطل ومنهم وفد نجران الذين جادلهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباهلة بعد أن دعاهم إلى الإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال لهم عليه الصلاة والسلام يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدا، قالوا: فمن مثل عيسى خلق من غير أب؟ فنزل قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ[١٤٦]) . وليظهر الله أنهم فى شك من أمرهم أنزل قوله تعالى: (فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ . . . الخ[١٤٧]) وقد عدلوا عن المباهلة، ولكنهم لم يقبلوا الدخول فى الإسلام وقبلوا بدلاً من ذلك دفع الجزية[١٤٨].

هذه لمحة عن جدل القرآن للنصارى فى شأن عيسى فيما يتعلق بمزاعمهم فيه من البنوة والألوهية وما ألصقوه به من التهم بعد رفعه إلي السماء. ونكتفى بهذا القدر الذي تناول به القرآن قضية الألوهية بما يقتضيه المقام من أدلة وبيان، ومن كل ما تقدم يتبين مقصد القرآن من مجادلة أهل الكتاب كما سيأتى.

مقاصد الجدل القرآنى لأهل الكتاب.

تتلخص مقاصد الجدل القرآنى لأهل الكتاب فيما يأتى:

١ ـ إثبات وحدانية الله عز وجل وإبطال مزاعم أهل الكتاب التى تنافى ذلك فالله سبحانه وتعالى واحد لاشريك له ولارب سواه (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ[١٤٩]) وقد أقام الله الحجة عليهم بما بينه فى كتابه وبما جادلهم به من أسلوب

---

(١٤٥) النساء/ ١٧٢ .

(١٤٦) آل عمران/ ٥٩ .

(١٤٧) آل عمران/ ٦١ ـ ٦٣ .

١٤٨) انظر: مفاتيح الغيب جـ٨ ص ٨٥، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٣٧٠، ٣٧١، الجامع لأحكام القرآن جـ٤ صـ١٠٤ الزمخشري: الكشاف: جـ١ ص٣٢٦.

(١٤٩) الأنبياء/ ١٢ .

وحجة دامغة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[150].

٢ ـ إثبات وحدة الدين: فالأديان كلها من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متفقة على أن دين الأنبياء واحد يقول النبى صلى الله عليه وسلم (الأنبياء أخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد[151]) فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره سابقه ولاحقه والنصوص الدالة على ذلك كثيرة فى الكتب المنزلة، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل ولم يأت ليهدم ما فى التوراة والإنجيل وإنما جاء خاتماً للمرسلين وداعياً إلى الله على طريقة الرسل السابقين.

٣ ـ إثبات تحريف الكتب السابقة: فتحريف أهل الكتاب لكتبهم أبطل حجيتها فنسخت بالقرآن الذى جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومصححاً لما حرف منها لأن الله تكفل بحفظه دون غيره من الكتب فقد أوكل حفظها إلى الأمم التى نزلت عليهم ولو سلمت هذه الكتب من التحريف لما حدث كل هذا الجحود والكفران والعداء من أهل الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأقروا برسالته وآمنوا بدعوته.

٤ ـ إبطال مزاعم أخرى لأهل الكتاب: فقد أبطل الله مفترياتهم وكذبهم على الله متصدياً لهم مفنداً أقوالهم فيما زعمه اليهود من أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الله فضلهم على العالمين، فلما كفروا بالله بعد ذلك وقتلوا الأنبياء والصالحين وعاثوا فى الأرض فساداً وأساءوا الأدب مع الله إلى غير ذلك خرجوا بفعلهم هذا من كونهم أفضل العالمين إلى كونهم أسوأ الناس أجمعين.

أثر الجدل القرآنى فى نفوسهم:

لقد كان لهذه النصوص القرآنية وغيرها مما هو وثيق الصلة بذات الموضوع الأثر الكبير فى إيقاد نار الحقد والبغضاء فى صدور أهل الكتاب الذين بلغتهم هذه النصوص

---

(١٥٠) الأنعام/ ١٤٩.

(١٥١) رواه مسلم: جـ٧ ص ٩٧ كتاب الفضائل.

(١٥٢) آل عمران/ ١١٣ ـ ١١٥.

إلا من هدى الله متجاهلين ثناء القرآن على موسى وعيسى عليهما السلام وما ذكره من بعض خصال الفضل لدى بعض أهل الكتاب كما ورد في سورة آل عمران[152] والمائدة[153]) والحديد [154]) والصف[155]) فتوجهوا بالتشكيك في طبيعة الدعوة وشخصية الداعي ومازالت مؤمراتهم السرية ومجادلاتهم العلنية التى بدأت في المدينة المنورة لم تقف عند حد، وعداء أهل الكتاب للإسلام أدى إلى اصطدام عنيف مبكر مع اليهود في الجزيرة العربية ومع النصارى من يوم تبوك واليرموك إلى الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا الذى مازال فيه تحالف أهل الكتاب من اليهود والنصارى قائماً من أجل القضاء على الإسلام ومحاربة المسلمين.

وتاريخ المسلمين الطويل فى الماضى والحاضر خير شاهد على الغزوات الشرسة عسكرية وفكرية التى تعرض ويتعرض لها المسلمون فى شتى أنحاء الأرض يغذيها عداء دفين ظاهر أحياناً ومستتر فى أغلب الأحيان، وإن ظهر لنا أحياناً نوع من التقارب ممن ليسوا منا فإنما هو تقارب يمليه المكر والخداع.

وهم الآن يتحركون فوق كل مسرح للكيد للإسلام وأمته والقضاء على معالم الإيمان وجمال القيم والفضيلة ولذلك تراهم وراء كل محنة أصابت المسلمين وخلف كل فتنة حلت بهم. والحقيقة أن الإسلام معركته مستمرة مع أهل الكتاب الذين كرهوا محمداً وضاقوا بأتباعه ذرعاً محاولين القضاء على دعوة الإسلام فى عمل دءوب وخطة محكمة لصرف المسلمين عن دينهم وتوهينه فى قلوبهم حتى يهدأ بالهم وهذا ما صرح به القرآن فى قوله تعالى: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [156])
وقوله تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ [157])
وقوله تعالى (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ [158]) إلى آخره وفى هذا تقرير

(١٥٣) المائدة/ ٨٢، ٨٣.

(١٥٤) الحديد/ ٢٧.

(١٥٥) الصف/ ١٤.

(١٥٦) البقرة/ ١٢٠.

(١٥٧) البقرة/ ٢١٧.

(١٥٨) آل عمران/ ٦٩.

صادق من العليم الخبير يكشف عن حقيقة العلة الأصيلة فى نفوس أهل الكتاب إنها معركة العقيدة التى نرى مصداقها فى كل زمان ومكان ضد الأمة المسلمة وهم بها لهم من حيل يلونونها بألوان شتى ويعلنونها إما باسم الأرض أو غيرها بعد أن ألقوا فى روع المسلمين أن مسألة العقيدة قد صارت مسألة قديمة لا معنى لها ولا يجوز رفع رايتها. وخوض المعركة باسمها سمة المتخلفين المتعصبين وهم يفعلون ذلك لغرض دفين فى نفوسهم ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها فإذا نحن خدعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه ولأمته وهو سبحانه وتعالى أصدق القائلين (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ (١٥٩)).

فذلك هو الثمن الوحيد الذى يرتضونه وما سواه فمرفوض ومردود ذلك لأنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم وفى الأرض جماعة تؤمن بالإسلام وتنهج منهجه وتعيش بنظامه. وتتنوع وسائلهم وأدواتهم وأسلحتهم فى النيل من الإسلام وأمته ولكن الهدف يظل ثابتاً وكلما انكسر فى يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره وكلما كلت فى أيديهم أداة سخروا أداة غيرها.

والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام وينبهها إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على المجاهدة وإلا فهى خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذى لا يدفعه عذر ولا مبرر.

وفى مجادلة القرآن لأهل الكتاب كشف دقيق لحقيقة نفوسهم وتقرير كاف لمكنون صدورهم وما انطوت عليه من حقد وكراهية والتاريخ المرير والواقع الأليم شاهدان على صنيع أهل الكتاب... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١٥٩) البقرة/ ١٢٠.

أهم نتائج البحث

١ ـ الجدل ظاهرة عامة كما أنه نزعة إنسانية وجبلة فطرية .

٢ ـ الجدل القرآني أسلوب معجز لمخاطبته كل مقام بما يتناسب معه فتنجلي النتائج بنصرة الحق على الباطل واستعلائه عليه .

٣ ـ توفرت في القرآن الكريم الأساليب الجدلية الناطقة بالحجج الصحيحة التي تهدف إلى هداية الكافرين وإلزام المعاندين ببيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس .

٤ ـ إن الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالية على الأمور المعينة بما جاء على السنة الرسل والأنبياء تقريرا للحق ودفعا للباطل .

٥ ـ الجدل القرآني إما ممدوح وإما مذموم وفيصل التفرقة بينهما هو معرفة الحق والباطل والحكم عليه بالتحريم أو بغيره يتعلق بالغاية منه فحيث وجد الجدال بالحق كان مباحا أو واجبا وحيث وجد الجدال بالباطل كان محرما وعليه فلا تعارض بين النصوص الواردة في الامر به أو النهي عنه .

٦ ـ لم يسلك القرآن في جدله طرق المنطق اليوناني في ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية مطولة ولكن ورد بلسان عربي مبين بعيدا عن التعقيدات المنطقية الاسطلاحية فجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير دون الإخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتدفع العقل إلى النظر والاعتبار والإقتناع .

٧ ـ سلك القرآن في مجادلاته سياسة جدلية بيانية يعالج فيها أوضاع الخصوم بما يتلاءم مع أحوالهم حتى تكون المواجهة هادئة لينة .

٨ ـ توسع القرآن في جدله مع اليهود لأنهم كانوا يقرون بكتاب ويؤمنون برسول فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلزمهم بما جاء في كتبهم وكانوا لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة تتسم بالدقة والمعرفة .

٩ ـ ناقش القرآن اليهود وأبطل مزاعمهم في قضية الألوهية وأنكر عليهم نظرتهم للرسل وموقفهم من تحريف الكتب واختلافهم فيها كما أنكر عليه موقفهم منا لقضايا الأخرى .

١٠ ـ أنكر القـرآن الكريم على النصاى قولهم بتأليه المسيح وأمه وانتهى إلى نتيجـة هامة هي بشريـة المسيح وانـه ليس إلها ولا جـزء إله كما أبطل عقيـدة التثليث وبنـوة المسيح .

١١ ـ للجـدل القرآني أثـر في نفوس أهل الكتاب تمثل في إيقـاد نار الحقـد والبغضاء في صدورهم بما ينعكس على تصرفاتهم بالكيد للإسلام والمسلمين .

أهم مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ ابن الآثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر : ط عيسى البابى الحلبى .

٣ ـ ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل . ط دار الكتب الوطنية بالقاهرة سنة ١٩٧١م

٤ ـ ابن تيميــة الرد على المنطقيين تحقيق د/ محمد عبــد الستار نصار وزميلـه ، نشر مكتبة الأزهر ١٩٧٧م .

٥ ـ ابن حجـر : فتح البارى شرح صحيح البخـاري : ط المكتبة السلفية بـالقاهـرة سنة ١٣٨٠هـ .

٦ ـ ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : مطبعة المثنى بغداد .

٧ ـ ابن الحنبلى : كتاب استخـراج الجدل من القـرآن الكريم تحقيق د/ زاهـر الألمعى ط أولى مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨٠م .

٨ ـ ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨١م

٩ ـ ابن القيم : هــداية الحيـارى فى أجوبة اليهـود والنصارى ط مؤسسـة مكة للطبـاعة والإعلام .

١٠ ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة

١١ ـ ابن كثير : السيرة النبوية ط عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ .

١٢ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ .

١٣ ـ د/ أبو الفتح البيـانوني : المدخل إلى علم الدعوة مؤسسة الـرسالة بيروت ط أولي سنة ١٩٨١م .

١٤ ـ د/ أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية دار الكتاب المصرى / اللبنانى سنة ١٩٧٨ م

١٥ ـ د/ أحمد الطيب : أسس الجدل عنـد الأشعرى عدد ٤ حـولية كلية أصـول الدين بالقاهرة ١٩٨٧م .

١٦ ـ الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ط المنيرية بالقاهرة .

١٧ ـ د/ زاهر الألمعـى : مناهج الجدل فى القـرآن الكـريم مطـابع الفـرزدق التجاريـة ببيروت

١٨ ـ الزمخشرى : الكشاف . ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة

١٩ ـ السيـــــوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ط طهران سنة ١٣٧٧ هـ .

٢٠ ـ الشهرستانى : الملل والنحل . ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة

٢١ ـ الطبري : جامع البيان فى تفسير القرآن . ط دار المعارف بالقاهرة

٢٢ ـ عبد الـرحمن حبنكة الميداني . مكايد يهودية عبر التـاريخ دار القلم بيروت ط ثانية ١٩٧٨ م .

٢٣ ـ الغزالي : إحياء علوم الدين ، طبع ونشر مكتبة صبيح وأولاده

٢٤ ـ الفخر الرازى : مفاتيح الغيب . ط الهيئة المصرية بالقاهرة

٢٥ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . ط دار الكتب الوطنية بالقاهرة

٢٦ ـ محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل . ط ثانية دار الفكر العربى سنة ١٩٨٠ م .

٢٧ ـ محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن . ط دار الفكر العربى سنة ١٩٧٧م .

٢٨ ـ د/ محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، ط السعادة بالقاهرة سنة ١٣٨٩ هـ .

٢٩ ـ د/ محمـد عبد الستار نصار : العقيـدة الإسلامية ، ط ثـانية دار الطباعة المحمـدية بالقاهرة ١٩٨٩م .